عربستان اندلس الخليج

عربستان واسكندرون مشكلتان متشابهتان

لقد تمخضت الأحداث السياسية التي مرت على مسرح الخليج عن أكثر من مشكلة قومية كان للتغلغل الاستعماري في الشرقين الادنى والاوسط اليد الطولى في خلقها تبعا لمصالحه الاقتصادية وأغراضه العسكرية ,فأدت النتائج الموضوعية ألى تجزئة العالم العربي ,وتقسيمه إلى مناطق نفوذ , جرت المساومات السياسية حولها ,فكانت هناك عربستان التي ابتلعتها الهرة الايرانية ,واسكندرون التي ازدردها الوحش المغولي ,واخيرا فلسطين الجرح الذي مازال ينزف في جنب الوطن العربي بسائر كياناته السياسية.

وعربستان واسكندرون مشكلتان متشابهتان كل التشابه متماثلتان غاية التماثل ,وما دمنا نعيش اجواء الخليج فالضرورة القومية علينا أن نفرد لها هذا البحث.

وقبل أن نمضى فى دراستنا التاريخية لعربستان ,ومشكلتها السياسية ,نرى لزاما علينا أن نلم بلمحة موجزة عن جغرافية تلك البلاد ,لتتكون لدى القارئ فكرة عن مواقع ذلك الاقليم الاستراتيجى وأهميته الاقتصادية التي تجلت في القرن التاسع عشر نتيجة التنافس الاستعماري على الخليج.

تقع عربستان في السشمال الشرقي للخليج العربي وتمتد شمالا حتي جبال روستان ,ويحدها من الشرق مجموعة سلاسل جبال كردستان التي تشكل حدودا طبيعية فاصلة عن ايران ,وتمتد صوب الغرب حتى شرقي شط العرب ,أي جنوبي شرقي العراق بلواءيه البصرة والعمارة ,وتبلغ مساحتها ما يقارب تسعة وثلاثين الف ميل مربع.

وعربستان بلاد خصبة لطبيعة تكوين أراضيها ,باعتبارها سهولا رسوبية طموية شاسعة ,غنية بمواردها المائية ,يمر فيها كل من نهري قارون والكرخة ,وعديد من روافد هذين النهرين وروافد شط العرب ,وهي إلى جانب ذلك غنية بحقول البترول ,وتعتبر "أهم منطقة زراعية في ايران , وكانت بنظر الرأسماليين الاوربيين منطقة خصبة للاستغلال التجاري والصناعي".

وعرفت عربستان تاريخيا باسم "ألأهواز , "وقد مر معنا ,في فصل الفتوحات الاسلامية الكبرى ,كيف كان هذا القطر العربي موضع نظر أول خليفة للرسول ,وكيف كان منذ الصدمة الاولى اقليما اسلاميا دلل على أصيل عروبته بأن أسهم أبناؤه البواسل في الفتوحات العربية الكبرى ,ركبوا متون البحر ,وتوغلوا في البر الايرانى و حتى ركزت راية العروبة ليس في اقصى نقطة من ايران فحسب ,وانما اندفعت إلى تخوم الصين ,وتوغلت في رحاب الهند ,وظل وسيبقى عربيا اسلاميا كما كان ,وقد خضع شأن سائر الأقاليم الاسلامية ,لأثر انحلال الامراطورية العربية الاسلامية ,ونشوء الدول العربية المستقلة ,فكان في بعض الأحيان يخضع للدول المتتابعة ,أو يستقل اداريا بحكم ذاتي كما سبق ووقفنا عليه في تسلسله التاريخي.

عربستان المستقلة تقاوم حملات العدوان

وفي العصور المتأخرة ,بينما كانت البلاد الايرانية تتخبط في دوامة الانقسامات وقيام عديد من الدول التي هي أشبه بالشرارات ما تكاد تضئ حتى ,متنافرة متناحرة ,كل ولاية دولة مستقلة استقلالا ذاتيا عن العاصمة الايرانية ,شهد اقليم عربستان في منتصف القرن الثامن عشر وفاة نادر شاه ,مقدم قبائل عربية استوطنت إلى جانب القبائل العربية الأخرى ,وبسطت نفوذها على قسم كبير من أراضي ايران الجنوبية الغربية ,واتخذت من مدينة الفلاحية مركزا لها ,وكان على رأس ذلك المد القبلي بنو كعب الذين أجلوا عنه الجيوب الايرانية الفارسية ,وأنشأوا اسطولا قويا دعموا به استقلال امارتهم الناشئة.

وظل بنو كعب الأشاوس محافظين على استقلال امارتهم التي تحطمت على متماسك صخرتها سائر الهجمات الايرانية ,وارتدت عنها مقهورة مخذولة ,فعمدت السلطات الايرانية ,وقد كلت أنيابها وتحطمت براثنها ,إلى جميع الوسائل لإضعاف روح المقاومة العربية ,حتى أنها عمدت إلى هدم السدود وسد مجاري الأنهار ,فلم يجدها ذلك فتيلا ,وظلت جيوش بني كعب قوية غلابة ,تعرف كيف تروض الجيوش الايرنية على التماس سبل الفرار لتضرب في أعقابها كلما فكر شاه ايراني بخضد شوكة الامارة العربية.

وبدأت أهمية عربستان تظهر دوليا بشكل مرموق حين تم تشييد مدينة المحمرة عام 1227)1812ه (في فترة حكم الشيخ حاج يوسف مرداو من عشيرة بني كساب احدى أفخاذ بني كعب ,فعمدت القبائل العربية إلى تشكيل اتحاد فيما بينها ,وبخاصة الكعبيين والقبائل القديمة الجذور في استيطان عربستان ,وقد جمعتها وحدة الهدف والروابط الحياتية المتشابهة.

ولقد استطاع الكعبيون طول حكمهم اقليم عربستان ,الثبات أمام النكبات التي اعترضتهم بجرأة وبسالة ,لا جنة لهم إلا ظبى سيوفهم ,ووقفوا كالطود الثابت أمام ثلاث قوى ائتلفت ضدهم في حملات اشترك بها كل من الايرانيين والعثمانيين والأسطول البريطاني في الخليج العربي في معركة حامية الوطيس وقف بها عرب عمان ألى جانب اخوانهم بنى كعب.

الشاه يعترف باستقلال الامارة العربية

وفي عهد الحاج جابر شهدت عربستان تطورا عظيما ,إذ مصر مدينة المحمرة التي ازدهت وازدهرت بشكل أخذ يثير أطماع كل من الايرانيين والعثمانيين على السواء ,فحاولوا بشتى الطرق التطويح باستقلال هذه الامارة الفتية المتطورة .وقد قامت القوات العثمانية عام 1253)1837ه (بتجريد حملة عسكرية على عربستان فأنزلت بالامارة خسائر فادحة رغم الصمود الباسل الذي تحلت به جيوش الامارة ,مما اثار الذعر في قلوب الايرانيين خوف تطويقهم بالقوات العثمانية من الغرب والجنوب معا ,فبادرت بالاحتجاج وطالبت -يؤيدها الحاج جابر -بالتعويض عن الخسائر

التي ألحقها الجيش التركي بالامارة العربية ,فكانت النتيجة أن اجتمع أطراف النزاع بالاشتراك مع ممثلين عن الحكومتين الروسية والبريطانية ,وتمخضت المفاوضات التي استمرت ثلاث سنوات عن عقد معاهدة ارضروم 1264)1847ه (و "خصت فيها المحمرة وعبادان وبعض المناطق الأخرى بالدولة الايرانية ,وألحقت مدينة السليمانية وتوابعها بالدولة العثمانية".

وبذا تكون الدولتان الكبيرتان قد قسمتا عربستان إلى منطقتي نفوذ ,وكانتالولة العثمانية تدعي ان الامارة تابعة لاقليم البصرة ,ردا على ادعاء ايران بأنها جزء من أراضيها.

وفي تلك الفترة قامت نزاعات داخلية محلية بين القبائل العربية ,وسعى كل شيخ من مشايخها إلى الاستقلال بمنطقته ,مما ساعد الحاج جابر على كسر شوكتهم جميعا ,ومد رواق سيطرته من المحمرة على معظم اراضي عربستان ,وفي هذه الأثناء بالذات تحركت بريطانية تبغي السيطرة على هذا الاقليم الحساس استراتيجيا ,مما حدا بالشاه الايراني -وقد تعرضت بلاده وعربستان معا لاعتداء بريطانية عام 1274)1857ه - (إلى الاعتراف باستقلال الامارة العربية ,وتعهدت كل من فارس والامارة أن تقفا صفا واحدا ضد كل اعتداء أجنبي.

بريطانية تحالف عربستان

وبلغت عربستان أوج عظمتها في فترة حكم الشيخ ابن الحاج جابر الذي ارتقي سدة الحكم عام 1315)1897ه , (إذ تمكن من بسط سيطرته على كافة اقليم عربستان ,فكانت قوته العسكرية تفوق قوى الدولة الايرانية ...وقد اندفعت بريطانية في خضم سياستها الاستعمارية للتقرب من الشيخ خزعل الذي رأت فيه حليفا ,كما توسم هو في بريطانية نصيرا له ,وبخاصة عندما طرح على بساط البحث مشروع فتح نهر قارون للملاحة البريطانية ,لأن هذا النهر يمر في قسم كبير من أراضي عربستان ,كما وضعت المخططات الاقتصادية لاستغلال ثروات هذا الإقليم.

وظهرت أهمية هذه الامارة بشكل خاص في نهاية القرن التاسع عشر من حيث الاستراتيجية العسكرية .ورأى العسكريون البريطانيون أن يسيطروا عليها ردا على مطامع روسيا القيصرية ومحاولة مد نفوذها إلى منطقة الخليج العربي ,وبمعنى آخر القضاء على التجارة البريطانية في الخليج والمحيط الهندي ,وكانت تصريحات اللورد كيرزون تؤكد هذه الحقيقة ,وقد أشار في احدى مذكراته التي بعث بها إلى نائب الملك في الهند عام 1314)1896ه " (إلى احتمال قيام روسية بالسيطرة على شمال ايران ,ثم تقدمها إلى الجنوب صوب الخليج العربي فقال :أن أي هجوم عسكري روسي من هذا النوع يجب يتبعه هجوم بريطاني على عربستان ,وذلك لإغلاق أي طريق يوصل الروس إلى المحيط الهندي والخليج العربي".

وانطلاقا من هذا المسار سارع البريطانيون لتوطيد علاقاتهم بالشيخ خزعل ,بغية جرة إلى جانبهم في أي نزاع انكليزي روسي مرتقب يمتد إلى جنوبي ايران .

وكان الشيخ خزعل يقف أبدا على أهبة الاستعداد لمجابهة أية حملة عسكرية قد ترسلها طهران ,

في محاولة لبسط سيطرتها على اقليم عربستان ,عاملا جهده لتوطيد استقلاله ,حتى أنه رغم اواصر الود القائمة ما بينه وبين بريطانية عمل على احباط مشروع نهر قارون الذي اقرته ايران.

ولما غدت ايران واقعة كليا تحت السيطرة الاستعمارية :البريطانيون في الجنوب والروس فى الشمال ,وأخذت كل دولة تستعد لمد سيطرتها على أوسع رقعة ممكنة من أملاك الشاه التي غدت مسرحا للتنافس العسكري الاقتصادي معا, ,مما نجم عنه قيام الثورات الوطنية ,والمطالبة بوضع حد للتدخل الاستعمارى في شؤون ايران الداخلية ,رأى الشيخ خزعل أن يفصم كافة ارتباطاته بالحكومة الايرانية واعلان استقلال بلاده استقلالا تاما ,ولو دفعه ذلك لمجابهة ايران ومحاربتها , ودعامته في ذلك قوته العسكرية وسفنه الحربية " ,وكان على استعداد لأن يدفع ب 000/40جندي إلى الميدان ,وكان هذا الجيش مسلحا تسليحا حديثا يفوق تسليح الجيش الايراني ,كما يفوقه من ناحية العدد ,وكان الشيخ خزعل يتجاهل حكومة الشاه تجاهلا تاما في السياسة العليا ,ويرجع اليها في الامور الثانوية فقط."

ومما يسترعي الانتباه كذلك أن قبائل البختارية القوية كان يربطها بالشيخ خزعل امتن أواصر التعاون ,كما امتد نفوذه على غيرها من العشائر الايرانية.

بريطانية تعترف باستقلال عربستان

واستهدفت بريطانية فيما استهدفته تجنب وقوع أي اشتباك مسلح ما بين الشيخ خزعل والدول الايرانية لما سيترتب على ذلك من نتائج خطيرة قد تسنح معها الفرصة لتدخل العثمانيين من جهة , وتدخل القبائل العربية في العراق وشبة الجزيرة من جهة ثانية ,باعتبار أن تلك القبائل مرتبطة والشيخ بالتحالف القبلي الذي يؤكد تساند القبائل وتآزرها بكل ملمة تصيب اية قبيلة .ثم رأت بريطانية في عام 1320)1902ه (أن من الأفضل لها الاعتراف ضمنيا باستقلال الامارة حين ظهرت في أفق السياسة الاقتصادية بوادر مشاريع روسية لمد سكك حديدية في ايران تنتهي بعربستان ,فضلا عن مطامع روسية باستغلال بترول الامارة العربية ,وبخاصة بعد موافقة الشاه على مشاريع سادة الكرملين.

واكدت بريطانية عزمها هذا بأن عقدت في عام1323)1905ه (معاهدة مع الشيخ خزعل ,بعد أن وضعت يدها على آبار البترول في عربستان .وقد نصت تلك المعاهدة على تقديم المساعدة العسكرية في حال وقوع أي اعتداء على اماراتهكما وعدته بحفظ كيان الامارة.

وفي عام 1333)1914ه (اعترفت بريطانية رسميا باستقلال عربستان ,وقدم الكولونيل كوكس وثيقة الاعتراف للشيخ خزعل ,وهي تؤكد من جديد عزم بريطانية على صون استقلال الامارة ,وتقديم المساعدة العسكرية في حالة قيام ايران بأي خطوة تهدد الكيان العربستاني.

المؤامرة الايرانية البريطانية على عربستان

إلا أن بريطانية أخذت توجس بعد الحرب العالمية الاولى خيفة من النفوذ الشيوعي الذي أخذ يتسلل إلى شمالي ايران ,ورأت أن من مصلحتها أن تنقلب على صديقها الشيخ خزعل لتقف إلى جانب رضا خان ,وزير الدفاع الايراني ,فرئيس الوزراء ,فالشاه بعدئذ ,لأنه يمثل الاتجاه القومي الفارسي الذي وقف في وجه المد الشيوعي ,وقد غدا رجل فارس القوى الذي آلى على نفسه بعث أمجاد الأكاسرة.

ووصل إلى عربستان جيش ايراني على رأسه الجنرال فضل الله تحت ستار مفاوضة الشيخ خزعل ,في الوقت الذي قطعت بريطانية على الشيخ سبل المواصلات ما بينه وبين العشائر العربية في العراق ,كما ثبطت قبيلة البختاري عن الأخذ بناصره ,وأنذر المقيم السياسي البريطاني برسيلورين الشيخ خزعل بسحب جميع التعهدات المقطوعة له إن قام بأية حركة ,وهكذا تم حبك المؤامرة من جميع اطرافها ,وحمل الشيخ العجوز الذي قعدت به السن عن امتشاق الحسام إلى طهران عام 1344)1925ه (حيث لاقى حتفه فيها 1355)1936ه. (

وبعد أن تمت تلك المؤامرة الايرانية البريطانية ,اطلقت حكومة ايران علىعربستان اسم خورستان لتمارس في منطقة العروبة أشد ضروب التجهيل والافقار ومحاربة اللغة العربية ومحاولة اذابة العرب عن طريق التزاوج بالايرانيات ,وجلب جالية ايرانية كبيرة لتجاور العرب في اراضيهم ,بعد نقل عشائر عربية بكامها إلى شمالي ايران ,في سياسة لا تختلف بشئ عن سياسة التتريك التي مارستها جمعية الاتحاد والترقي تجاه العرب في اخريات أيام الامبراطورية العثمانية ,لم يقف العرب تجاه كل ذلك مكتوفي الأيدي وانما هم ينتفضون ويثورون ,الانتفاضة بعد الانتفاضة ,والثورة أثر الثورة ,ومازال الجمر تحت الرماد.

اعداد: المنذر الأهوازي

المصدر:
الخليج العربي بحر الاساطير ـقدري قلعجي – بيروت

تنوية : تنوه شبكة الأحواز للانترنت للقراء الاعزاء ان :
لجنة حماية تسمية الأحواز : تسترعي انتباه السادة القراء ان التسمية التاريخية العربية للمنطقة هي الأحواز وليست الأهواز